الأحد: 2024/02/25

التوقيت: 11:20 – 12:50

القاعة: 33 في الكلية

المحاضرة رقم 02: فنون السرد – الرواية

(الجزء الأول).

أولا: الرواية العربية بين التشكل والوجود:

ظهرت الرواية العربية في مطلع العصر الحديث بعد أن اتصلت الثقافة العربية بالثقافة الغربية عن طريق البعثات إلى أوربا، وبعد ترجمة بعض الأعمال الروائية إلى العربية. وقد كانت حركة الترجمة التي قام بها خريجو مدرسة الألسن في أواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن، ومن جاؤوا بعدهم من المترجمين إرهاصاً بدخول فنون جديدة إلى الأدب العربي لم تكن معروفة بالصورة التي انتقلت إليها بها، مثل فنون الرواية، والمسرحية.

فالرواية ازهرت في أدبنا العربي في القرن العشرين وهي التي حملت في مضمونها أحاسيس الإنسان العربي وانفعالاته وانشغالاته بقضاياه المصيرية في جميع مجلات الحياة (السياسية، الاجتماعية، الثقافية...)، فبهذا نجد الرواية حققت ارتباطا عميقا بمعاناة الإنسان العربي.

والرواية كفن هي التي تأتي على شكل سردي يحكيه الراوي وتتكون من عناصر هي الحكاية، الأشخاص، البيئة، الزمان، المكان، والحوار، وقوامها الخيال لها صياغة خاصة وإطار مرسوم ونسيج لغوي محدد ووظيفة متباينة، تصور تجربة إنسانية وتخلو من الكائنات الغريبة كالسحرة والعفاريت... الخ، ولم يكن للرواية أن تظهر في أدبنا الحديث والمعاصر لولا اختلال قيم المجتمع واهتزازها، وهدفها تجسيد رؤية الكاتب الفنية الخاصة أو فلسفته الجديدة وموقفه من الإنسان ومن عالم الواقع والحياة المعيشة.

وأرخ البعض لظهور الفن الروائي عند العرب في الربع الثالث من القرن الماضي مع رفاعة الطهطاوي الذي ترجم رواية "مغامرات تليماك" سنة 1867م، بعنوان "وقائع الأفلاك في أخبار تيلماك"، ورأي آخر يقول بأن الرواية العربية تطورت مع اللبنانيين الذين رفعوا

مشعل الرواية العربية وذهبوا إلى مصر عن طريق الهجرة ومن بين روادها سليم البستاني في روايته (الهيام في جنان الشام) سنة 1870 وهي تعد حسب اللبنانيين أول رواية عربية توفرت فيها مقومات الرواية الفنية قلبا وقالبا ومضى يحملها إلى تربة مصر تلميذه الأمين سعيد البستاني الذي جعل (ذات الخدر) محورا لمعماره الفني المتأثر بسليم البستاني سنة 1884م، كما شكل معماره حول (سمير الأمير) سنة 1892م على الشاكلة ذاتها.

والبعض الآخر أرخ لظهور الفن الروائي في فترة تمتد منذ بداية القرن الماضي إلى مطلع القرن الجاري، وعد الشكل الروائي العربي الأول مع روايات جورجي زيدان (1861م-1914م) وفرح أنطون (1861م-1922م) تلك الروايات التي صنعت التراث التاريخي والإسلامي كموضوع لها، والتي وضع لها سليم البستاني حجر الأساس والتي مضى فيها جميل نخلة المدور على النهج ذاته عندما تناول في روايته التاريخية (حضارة الإسلام في دار السلام) أيام هارون الرشيد.

انطلق جرجي زيدان في مستهل كتابته التاريخية إلى منابع تاريخ الإسلام ثم إلى العصور الأموية والعباسية والأيوبية حتى وصل إلى مصر الحديثة وإلى ما كتبه من روايات التاريخ القديم، حوالي إثنا وعشرون رواية ابتداء من عام 1891 حتى عام وفاته 1914م.

كما يعد فرح أنطوان المهاجر العملاق بثقافته الواسعة والأبعاد الفلسفية والاجتماعية من أعظم كتاب هذه المرحلة، حيث ترجم عدة روايات ومنها رواية (الكوخ الهندي) ورواية (بول وفرجيني) للكاتب الفرنسي الرومانسي برناردين سان بيير ورواية (أتالا) للروائي شاتوبريان و(ثلاثية) الكسندر دوماس الأب، وألف رواياته (أورشليم الجديدة) و(فتح العرب بيت المقدس) و(الدين والعلم والمال) و(الوحش الوحش) و(سياحة في أرز لبنان).

وليس من شك أن إنتاج جبران خليل جبران لروايته (الأجنحة المنكسرة) سنة 1916 من التجارب القيمة التي تعد من طلائع الروايات العربية، إضافة إلى أمين الريحاني في

روايته (خارج الحريم) التي صدرت في نيويورك سنة 1915، ويعد حسين هيكل من أوائل الروائيين الذين كتبوا أعمال فنية وكانت روايته (زينب) التي صدرت سنة 1914 عند الكثير من المؤرخين البداية الرسمية لظهور العمل الأدبي بجميع مقوماته الفنية، بعدها عرفت الساحة العربية العديد من الأعمال الروائية ذات البعد الفني كرواية (الأيام) لطه حسين، وروايات توفيق الحكيم التي تناول فيها العديد من القضايا المجتمعية كرواية (يوميات نائب في الأرياف)، ورواية (عصفور من الشرق)، ورواية (عودة الروح)، ثم جاء محمود تيمور بروايته (نداء المجهول) التي اهتم فيها بالتركيب الاجتماعي والنزعة الإنسانية ثم تليها رواية (سلوى في مهب الريح)، وظهرت روايات تحمل طابع نفسي مثل رواية (إبراهيم الكاتب) لإبراهيم المازني، وروية (ثوريا) لعيسى عبيد، ورواية حواء بلا آدم لطاهر لاشين، وإذا ذهبنا إلى سوريا نجد العديد من الروائيين أمثال معروف الأرناؤوط في روايتيه (سيد قريش)، و(عمر بن الخطاب)، وفي العراق محمود أحمد السيد في رواياته (مصير الضعفاء)، (في سبيل الزواج).

ويمكن أن نعتبر مرحلة التأصيل الروائي العربي مع نجيب محفوظ في مصر ومن عاصروه حيث تتبعوا كل التطورات العالمية التي حدثت في ميدان الرواية أنذك، فظهر العديد من الروائيين العرب الذين نجحوا في كتاباتهم وإبداعاتهم، ففي الجزائر نجد عبد الحميد بن هدوقة، طاهر وطار، محمد ديب وغيرهم، وفي السودان الطيب صالح، وفي فلسطين غسان كنفاني، وفي سوريا حنا مينا وغيرهم كثيرون كتاباتهم واكبت تطورات العصر أنذك.

وفي الأخير نخلص إلى أن الآراء تتعدد حول التأريخ لبداية الرواية العربية الحديثة، وتتنوع الالتباسات مع هذه المعطيات التاريخية غير المستقرة والاختلاف وارد أيضا في تحديد كيفية نشأة الرواية وظهورها، وهناك أكثر من رأي، لعل أهمها ما يأتي:

- **الرأي الأول:** يرى أصحاب هذا الرأي أن الرواية العربية فن حديث وجديد من حيث الموضوع والبناء والهدف، ولا علاقة بينه وبين الفنون القصصية العربية القديمة، فهو نبت

جديد في الأدب العربي مأخوذ من الغرب، وذلك لأن "بناء الرواية العربية –من وجهة نظرهم– يشبه بناء الرواية الأوروبية وأساليب الرواية العربية الفنية أساليب غربية أصلا"، وهناك أمر آخر يستندون إليه، وهو أن معظم رواد الرواية العربية درسوا في الغرب أمثال: محمد حسين هيكل، شكيب الجابري، توفيق الحكيم، ذنون أيوب*...الخ.

– **الرأي الثاني:** يرى أصحابه أن الرواية العربية تطور طبيعي للقصص التراثي، وأن القصة موجودة عند كل الشعوب والأمم، وذلك من أجل نفي فكرة الأخذ عن الغربيين، ومما لاشك فيه أن أصحاب هذا الرأي ينطلقون من موقف نبيل يتمثل في الحرص على الذات العربية، فما عرفه الغرب عرفه العرب الأوائل وما لدى الغرب من فنون عرفها تراثنا، فهو مليء بالقصص المتنوعة كالحكايات والسير والمقامات... وغيرها.

– **الرأي الثالث:** يؤكد أصحابه أن فن الرواية ظهر في أوائل القرن العشرين نتيجة تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، تشبه إلى حد بعيد تلك التحولات والتغيرات التي أدت إلى ظهور الرواية العربية، فالرواية العربية وليدة التغير الاجتماعي المحلي الذي بعث قيما جديدة وحساسية فنية وجمالية جديدة، لم تعد الأشكال القصصية التقليدية قادرة على استيعابها فكان لابد من ظهور فن جديد له كيانه وخصائصه المنفردة.

والحقيقة أن أصحاب هذا الرأي يجمعون بين الرأيين السابقين، حيث لا يغفلون أثر الغرب في ولادة الرواية العربية، وإن كانوا لا يرونه الأثر الحاسم فيرفضون فكرة الاستيراد، كما لا يغفلون أثر التراث العربي القصصي في بناء الرواية العربية الحديثة، وبالمقابل لا يعتبرونها امتدادا للأشكال القصصية التقليدية، فالرواية فن حديث في موضوعه وبنائه ووظيفته، ولها كيانها المتميز في التعبير عن القيم الجمالية والاجتماعية المستجدة في واقعنا الراهن والمعيش.

ثانيا: أنماط الرواية العربية

مسار الرواية العربية تكون من أنماط ثلاث: **الرواية التقليدية، الرواية الحديثة، الرواية الجديدة،** وقد تم الاعتماد على هذا التصنيف من خلال النظر في القيم الجمالية والخصوصية الفنية بعيدا عن التصنيفات القائمة على التواريخ السياسية والتاريخية أو التصنيفات الدارجة من رومانسية وواقعية.

1/ الرواية التقليدية: هي التي تأتي وصفا لوقائع فنية محددة، ذات مواصفات معينة في بنائها وأسلوبها وهدفها. بعبارة أخرى إن نعت الروايات بالتقليدية يستند الى ماهية الروايات ووظيفتها المتمثلة بالتعليم والوعظ والإرشاد .

لكن مع ذلك لا يمكن إنكار الدور الذي قامت به الروايات التقليدية في مراحل تاريخية معينة على الصعيدين الاجتماعي والأدبي، فلئن كانت الروايات التقليدية فقيرة في بنائها الفني، فدلالاتها تعني الكثير في فهم مسار الرواية العربية، لعل أهمها الدلالة الأدبية التي تتمثل: "في وعي الذات الجماعية بضرورة البحث عن أشكال تعبيرية تكون قادرة على تجسيد حساسية جديدة أو ذوق فني جديد.

2/ الرواية الحديثة: تعود أسباب نشأتها إلى عوامل عدة أهمها: تراكم الخبرات الفنية والأدبية، وتطور الوعي الجمالي والاحتكاك والتواصل مع تجارب الروائيين الأجانب، واتساع القاعدة المادية لفن الرواية من مثل: زيادة السكان وتعقد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، والتوسع في التعليم وانتشار دور النشر والصحافة والمكتبات، والكهرباء والتي أتاحت للكثير فرصة القراءة ليلا.

ولا يغفل الباحث حركات التحرر الوطنية في العالم العربي وما صاحبها من نهوض فكري وثقافي وقومي وسياسي في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. كل هذه

العوامل دفعت الشعوب العربية إلى الإحساس بضرورة التغيير وتجاوز الأدوات التقليدية السائدة والبحث عن أدوات جديدة تتناسب والعصر المعاش.

3/ الرواية الجديدة: نشأت نتيجة لعامل رئيسي يُجمع عليه جل الباحثين، تمثل في هزيمة 1967، والتي بها سقطت قيم وتفسخت أيديولوجيات سائدة. وإذا كانت الهزيمة قد خلخلت منظومة قيم كثيرة كانت سائدة، سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية، فإن منظومة القيم الفنية والمعايير الجمالية لم تنجُ هي الأخرى من هذا المصير.

ويرى الباحث شكري الماضي أن الرواية الجديدة: تعبير فني عن حدة الأزمات المصيرية التي تواجه الإنسان، من غموض يعتري حركة الواقع، وتهديد للذات الإنسانية بالذوبان أو التلاشي.

وفي ظل تفتت القيم وتشتت الذات الجماعية وحيرتها، وغموض الحاضر والآتي وتشظي المنطق المألوف والمعتاد، في ظل هذا كله يصبح الفن السائد غير قادر على تفسير الواقع وتحليله وفهمه، إلى جانب عجزه عن التعبير عنه.

من هنا أصبحت الحاجة ماسة إلى فعل إبداعي يعيد النظر في كل شيء، ويدعو إلى قراءة مشكلات المجتمع قراءة جديدة، وتأسيس ذائقة جديدة، أو وعي جمالي جديد، وهو ما تسعى إليه الرواية الجديدة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994م.
2. سيزا قاسم، بناء الرواية، مكتبة الأسرة، 2004م.
3. شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، عالم المعرفة، ع 355، سبتمبر 2008.

4. طه وادي، مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية، دار النشر للجامعات، ط2، 1997م.
5. طه وادي، هيكل رائد الرواية، السيرة والتراث، دار النشر للجامعات، ط2، 1996م.
6. عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، ط3، 1976م.
7. محمد سيد البحراوي، بواكير الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م.